أدبيات الخطاب الصوفي في الجزائر، قراءة في فكر الأمير عبد القادر
*Literature Sufi discourse in Algeria, a reading in the
 thought of Emir Abdelkader*

د / العبادي عبد الحق¹

تاريخ النشر: 2021/12/20	تاريخ القبول: 2021/04/29	تاريخ الإرسال: 2021/01/23
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

تدعونا حياة "الأمير عبد القادر"، وأعماله، أكثر من أي شيء آخر، إلى كتابة تأويلية عنها أكثر منها إلى كتابة سيرة حياة، أي أن الأمر يقتضي فهم الكاتب أكثر من فهمه لنفسه؛ وهذا يتطلب صياغة مجددة لمراحل تكون أعماله، وتعود الصعوبة الخاصة لتتبع حياة "الأمير" إلى احتجاب شخصيته الحقيقية وراء نزعته الوطنية الجزائرية؛ بينما كانت حياته الفعلية كلها نوعا من السر الروحي حتى، وهو يمارس دوره في تسيير الشؤون العامة؛ فهو في صميمه كأنه غائب عن العالم، وهذا ما كان "ماكسيميليان فيبير" *Maximilian Weber* يدعوه "النموذج المثالي للبراعة الدينية أن تكون في صميم الحياة الاجتماعية وأنت خارج عنها".

الكلمات المفتاحية: التصوف، الأمير عبد القادر، الإمامة، الخطاب.

Abstract:

The life of "Emir Abdelkader" invites us to write an interpretation more about it than to write a biography, meaning that the matter requires understanding the writer more than his understanding of himself. This requires a renewed formulation of the stages of his work, "Maximilian Weber" calls him "the ideal model of religious ingenuity to be at the core of social life while you are outside it."

Key words: Sufism, amir Abdul Qadir, the imamate, discourse

*** **

المؤلف المرسل: د / العبادي عبد الحق labadiabdelhak1981@gmail.com

01 - مقدمة:

يمثل التراث الصوفي جزءا هاما في مساحة المخيلة الشعبية "بالجزائر"؛ إذ يحتاج هذا التراث إلى بحث دائم لتقصي بناييعه، ومصادره، فالبحث في القضايا اللغوية المتعلقة بالخلفية الدينية للخطاب، وبخاصة التصوف، من البحوث التي تحمل إشكاليات عديدة، ذلك أن الوسط البيئي الجزائري بالخصوص في مجمله هو بيئة، ووسط متدين، هذا الفكر الديني إنما يمثل البحث في العمق الروحي لذات الإنسان ووسط هذه البيئة، فالبحث في تحليل الخطاب لفرقة دينية معينة يحمل الكثير من التأويل، والتفسير، وبخاصة إذا تعلق الأمر بالفكر اللغوي الصوفي.

فالثناء الذي يتميز به الخطاب الصوفي، وقدرته الفائقة في تخطي المجال الزمني والحد المكاني، جعله يحتل موقعا داخل النظام اللغوي، والمعرفي بشكل قوي، وفعال، ذلك لتميزه، وقدرته على التعبير عن الحالات النفسية، والفكرية، والجمالية، والفلسفية، ولعل اتخاذ المناهج اللغوية المعاصرة من التصوف مادة للدراسة تفكيكا، وتأويلا، وتحليلا، لخير دليل على المنزلة الراقية التي يحتلها الخطاب الصوفي داخل المنظومة الفكرية، والمعرفية، واللغوية، والذي يتجلى فيما تركه المتصوفة الأوائل من معارف، ومفاهيم عبروا عنها بثقافة الرمز التي تحيل إلى عمق التجربة الصوفية؛ إذ عرف الصوفيون منذ القديم بانفتاحهم الديني، والفكري، وحتى اللغوي، وذلك بسبب عشقهم للحرية الروحية، وحسبهم الفني، والجمالي المرهف في الاستعمال اللغوي، مما أفسح مجالاً واسعاً للتلقي، والتعرض إلى هذه الرموز بالشرح، والتأويل، والوصف، والتفكيك، والتحليل تارة، والتعليل تارة أخرى.

من خلال هذا الكلام فيما تكمن جماليات، وأدبيات الخطاب الصوفي عند "الأمير عبد القادر"؟.

وللإجابة عن هذا الإشكال حتمت طبيعة المضمون، والموضوع انتهاج المنهج الوصفي التحليلي القائم على وصف الظاهرة اللغوية، وتحليلها.

02 - الصوفية والتصوف:

لعل المجال الواسع الذي يفسحه الخطاب الصوفي للمتلقي، وما يوفره من كثرة الرموز، وتعدد دلالاتها، وشروحيها جعل من الباحث في ميدان التصوف يصادفه ذلك

الكم الهائل من الأقوال، والتعاريف، ولا يكاد الباحث في هذا المجال أن يصل إلى تعريف جامع مانع في حد التصوف، والصوفي على حد سواء، ويعلل المهتمون بهذا الجانب أن موضوع التصوف عظيم الأمر جلال القدر؛ إذ أن ميدان التصوف، والمتصوفة لا يدرك جوانبه، وجزئياته، فهو بالنسبة إليهم معدن جميع العلوم، والفنون، وأنه يفوق الحدود، والإحاطة، وأنه لا يمكن لأحد مهما بلغ في التصوف أن يجمع كل جوانبه في ألفاظ قليلة، بل إن غاية أمر القائل أن يعبر عما أدركه هو في التصوف، أو عما رآه من مقامات، وأحوال وغيرها.

وقد عبر "ابن خلدون" عن هذه الحقيقة بقوله: « إن الطرق إلى الله تعالى عدد أنفاس الخلائق أجمعين، وكل سالك له طريق يناسبه، وتربية تخصه، وكما اختلفت طرق السلوك فتختلف العلل، والأحوال، والواردات باختلافها »¹، وجمع "القشيري" نحو ستين تعريفا، ويعبر عن اختلافهم، وكثرة أقوالهم « بأن كلا قد عبر بما وقع له »²، ويقول "السهروزي": « وأقوال المشايخ تتنوع معانيها لأنهم أشاروا فيها إلى أحوال في أوقات دون أوقات »³، ولما سأل "الجنيدي" عن التصوف قال: « أن تكون مع الله بلا علاقة »⁴، وهو يعني بذلك شدة الإخلاص، والمحبة لله تعالى.

واشتقاق لفظ التصوف يدل على معان وثيقة الصلة « بالصفاء، والصف الأول، وصفة مسجد رسول الله ﷺ، والصفة الجميلة، وحتى "سوفيا" اليونانية التي تدل على معرفة الغيب، مع أنه يرجح نسبتها إلى الصوف، وأنها كلمة موفقة كل التوفيق »⁵، ومما تحمله لفظة "تصوف" من فروض « أن تكون منسوبة إلى صوفة الجاهلي، ذلك أن التصوف، والتنسك كان معروفا في الجاهلية، أو أن يكون منسوباً إلى الصوف، وقد روي عنه ﷺ (البسوا الصوف وشمروا، وكلوا في أنصاف البطن تدخلوا في ملكوت السماء) »⁶، ولعل من قول الصوفية أن الأنبياء، والأولياء دعوا إلى لبس الصوف مستندين في ذلك إلى قول الرسول ﷺ.

وجدير بالذكر أن لبس الصوف هو من التقاليد الجزائرية القديمة يقول "حمدان خوجة" واصفا طبائع البربر، وعاداتهم في "الجزائر" بقوله: "يرتدي الرجال قماشاً من الصوف، ولألبستهم شكل كيس مثقوب في الوسط لإخراج الرأس، وبه ثقبان آخران على الجبين لإخراج اليدين، عرضه حوالي ذراع، ويهبط إلى منتصف الساق."⁷

ويرجح انتساب التصوف « إما إلى الصوفة، أي: الخرقه الملقاة، فالصوفي كالخرقة الملقاة لا تدبير له مع الله، وإما إلى صفة المسجد للتشابه بين المتصوفة، وبين أهل الصفة في الطباع، والوظائف »⁸، يقول "ابن تيمية": « واسم الصوفية هو نسبة إلى لباس الصوف، وهذا هو الصحيح »⁹، وهذا ما يراه المستشرق "نيكلسون" *Reynold Alleyne Nicholson* الذي ذكر أن لباس الصوف اتخذه الزهاد متشبهين برهبان النصارى¹⁰، وهو نفس ما يراه "كارل بروكلمان"¹¹ "*Carl Brockelmann*" الذي يقرر أن الصوفية استعاروا من رهبان النصارى أديتهم الصوفية التي بسببها عرفوا بالصوفية.

يقول نيكلسون: « والتعاريف المتعددة للصوفية التي وردت في الكتب العربية والفارسية، وإن كانت ذات فائدة تاريخية، فإن أهميتها الرئيسية في أنها تعرض الصوفية على أنها غير ممكن تحديدها »¹²، ويقول جولد تسهير "*Agness Golde Tasahir* » والتصوف ليس نظاما متجانسا محدودا من حيث نظرياته، أو طقوسه، بل لا يوجد تعريف مضبوط مجمع على قبوله تندرج تحته اتجاهات التصوف العامة فهناك على الأخص فروق لا حصر لها في تفصيلات أفكاره، ووقائعه «¹³»، ولعل الأفكار، والوقائع التي يتميز بها أهل التصوف تكمن في أركان المتصوفة العشر؛ وهي: تجريد التوحيد، وفهم السماع، وحسن العشرة، وإيثار الإيثار، وترك الاختيار، وسرعة الوجد، والكشف عن الخواطر، وكثرة الأسفار، وترك الاكتساب، وتحريم الادخار.

وأما عن الصوفي فيقول "ابن الجلاء": « ليس نعرفه في شرط العلم، ولكن نعرف أن من كان فقيرا مجردا من الأسباب، وكان مع الله بلا مكان، ولا يمنعه الحق سبحانه عن علم كل مكان يسمى "صوفيا" »¹⁴، ويقول "جعفر بن محمد الصادق": « من عاش في ظاهر الرسول فهو سني، ومن عاش في باطن الرسول فهو صوفي »¹⁵، ويقول "ابن خلدون" في علم التصوف: « هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة، وأصله العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا، وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة، ومال، وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة »¹⁶.

03 - الإمامة في الفكر اللغوي الصوفي في "الجزائر":

أ - الإمامة بين اللغة والاصطلاح:

إن لفظ "الإمامة"، أو "الإمام" تعني الإتيان، والافتداء، وقد وردت في القرآن الكريم أكثر من اثني عشر مرة، بغض النظر ما إذا كان هذا الإتيان، والافتداء في طرق الخير، أو طريق الباطل، وقد استعمل القرآن الكريم لفظ الإمام في المعنى اللغوي نفسه، قال تعالى في إمامة الخير: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾ [الأنبياء: 73]، وقال في إمامة الشر، أو الباطل: ﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون﴾ [القصص: 41]، فالإمام من هذا المنطلق القرآني هو المؤتم به، أي: المقتدى والمتبع، وهو الشخص الذي يتقدم على جماعة تتبعه، سواء أكان هذا الإمام عادلا أن ظالما، يقول "الراغب الأصفهاني": «الإمام: المؤتم به إنسانا، كأن يقتدى بقوله، أو فعله، أو كتابا، أو غير ذلك، محقا كان، أو مبطلا، وجمعه أئمة، وقوله تعالى: ﴿يَوْم نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء: 71]، أي: بالذين يقتدون به، وقيل بكتابهم. «¹⁷»، فهذا المعنى للإمامة، والإمام لا يختلف كثيرا عند أهل اللغة، والاصطلاح. ففي المفهوم اللغوي يقول "الأزهري": «الإمام كل من ائتم به قوم، كانوا على الصراط المستقيم، أو كانوا ضالين»¹⁸، ويقول "ابن فارس": «الإمام الذي يقتدى به»¹⁹، وجاء في لسان العرب: «أم القوم، وأم بهم: تقدمهم، وهي الإمامة، والخليفة إمام الرعية»²⁰، أما "الفيروز أبادي" فيقول: «الإمامة في اللغة مصدر من الفعل (أم) تقول: أمهم وأم بهم: تقدمهم، وهي الإمامة، والإمام: كل ما ائتم به من رئيس، أو غيره.»²¹، «والإمام الطريق الواسع، وبه فسر قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر: 79]؛ أي: بطريق يؤم أي: يقصد فيتميز، ويقال فلان إمام القوم معناه: هو المتقدم عليهم، ويكون الإمام رئيسا كقولك: إمام المسلمين»²²، هذا من الجانب اللغوي.

أما من حيث الاصطلاح فقد عرفها العلماء بعدة تعريفات، وهي وإن اختلفت في الألفاظ فهي متقاربة في المعاني، ومن هذه التعريفات ما ذكره "الماوردي" حيث قال: «الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين، وسياسة الدنيا»²³، ويقول "الجويني": «الإمامة رئاسة تامة، وزعامة تتعلق بالخاصة، والعامّة في مهمات الدين، والدنيا»²⁴، ويقول "الإيجي" صاحب "المواقف": «هي خلافة الرسول ﷺ في إقامة الدين بحيث يجب إتياعه على كافة الأمة.»²⁵، ويقول "الهيتمي": «اعلم أيضا أن

الصحابة رضوان الله عليهم أجمعوا على أن نصب الإمام بعد انقراض زمن النبوة واجب، بل جعلوه أهم الواجبات حيث اشتغلوا به عن دفن رسول الله ﷺ «²⁶»، فمن خلال هذا العرض الموجز لمسألة الإمامة في اللغة، والاصطلاح نلمس ذلك التقارب في المعاني التي تدور حول الاقتداء، والطاعة، والتبعية في شؤون الدين والدنيا.

ب - الإمامة في الفكر اللغوي الصوفي عند "الأمير عبد القادر الجزائري":

ارتبط التصوف في مراحل المبكرة "بالجزائر" ارتباطا وثيقا بغاية عظيمة من غايات هذا الدين الحنيف؛ وهو الزهد في هذه الدنيا؛ وزخارفها؛ « فالزهد هو ترك الدنيا خوفا من الحساب، والتصوف هو الإقبال على صفاء النفس لتتصل بالله، فغاية الزاهدين هي السلامة، وغاية الصوفية هي الوصول، فالزاهد يخاف الدنيا لأنها قد تبعده عن الجنة، والصوفي يخاف الدنيا لأنها قد تشغله عن الله »²⁷، فالتصوف عامة ظهر مع طائفة من العباد والزهاد، بعد عصر الصحابة والتابعين، ثم تطور مع الزمن حتى أصبح فكرة، وفلسفة، وذوقا، ومدارس، وزوايا، إلى أن أصبحت هذه الطرق جزءا من الحياة اليومية في المجتمع الجزائري؛ بل لهذه الطرق تأثير خاص على الثقافة الشعبية "بالجزائر" يتجلى حتى في الألفاظ العامية المتداولة داخل المجتمع الجزائري²⁸، مما يدل عن عمق التأثير الصوفي في العقلية الفكرية، واللغوية في "الجزائر".

وبما أن كلمة الحق تقال فإن الزوايا الصالحة في "الجزائر" كان لها إيجابيات كثيرة غطت بعض السلبيات، فكانت مصدرا للعلم، والهداية، وحامية للدين، وداعية للإصلاح، ومنبع اليقظة، والنهضة، ومنبت لثورات عديدة في الجزائر على الاستعمار²⁹،

فالصوفية في "الجزائر" عادة ما تطلق على الزهاد من الناس، والفقراء، والعباد، والملمهين، وال دراويش، وأهل العزلة، وأهل الصمت، وأهل الخلوة، وأهل الذكر وغيرهم ممن اتسم بهذه الصفات التي تصل بصاحبها إلى مقام الصفاء، وتزكية النفس من ملذات الدنيا، هذا ما جعلهم يولون اهتمامهم بجلاء الغموض، وتحديد الخصائص الشريفة التي تميز الإمام عن غيره من أهل القرب إلى الله؛ إذ تتسم مسألة الإمامة في الخطاب الصوفي عامة بأهمية استثنائية؛ والسر في هذا التفاوت يعود لاختلاف مفهوم الإمامة عند الصوفية عما هو عليه لدى بقية الطوائف الإسلامية الأخرى، إذ يقوم الخطاب الصوفي بالأساس على الاقتداء بالشيخ « فمن لا شيخ له لا قبله له، ومن لا شيخ له فالشيطان

شيخه «³⁰»، بيد أن "الأمير عبد القادر الجزائري" ³¹ أخذ بعدا آخر في رؤيته لمسألة الإمامة، إذ أوجد لها صلة بالنبوة فجعل الإمامة تستمد معانيها، وتجلياتها السامية من النبوة؛ إذ أكد "الأمير عبد القادر" على حقيقة التلاحم القائم ما بين النبوة، والإمامة؛ إذ يبقى الإمام تابعا للنبي في العلم والعمل، والحال بجميع تجلياته الوجودية، والمعرفية، بصورة عامة فإن إشكالية إدراك معاني الإمامة تكمن في الاختلاف الذي ينشأ عن تحليل دلالة المصطلح، وموارد اشتقاقاته اللغوية.

وهذا لا يقتصر على الإمامة فحسب، بل إن التصوف عند "الأمير عبد القادر" سلوك في الحياة ذو مضامين فكرية يتغلب فيه الجانب الروحي على الجانب المادي، أي ما يمكن لنا أن نسميه التصوف الإيجابي الذي لعب أدوارا وطنية، ودينية، وثقافية هامة في "الجزائر" على مدى بضعة قرون من الزمن .

فإذا قلنا أن التصوف عند بعض العلماء هو « صدق التوجه إلى الله من حيث يرضاه » ³²، فإن "الأمير عبد القادر" يرى أن التصوف هو: « جهاد النفس في سبيل الله؛ أي: لأجل معرفة الله وإدخال النفس تحت الأوامر الإلهية، والاطمئنان، والإذعان لأحكام الربوبية، لا لشيء آخر من غير سبيل الله » ³³، من خلال هذا التعريف نجد أن "الأمير عبد القادر" استطاع أن يوازن ما بين الجانب الروحي، والقواعد المادية، وما بين الفكر، والتطبيق، وكذا ما بين المعتقد الحق، والسلوك القويم.

فشخصية "الأمير عبد القادر الجزائري" على وجه الخصوص تمثل العبقرية التي اجتمعت فيها العديد من خصال التصوف الإيجابي، فالمنهج الصوفي "للأمير عبد القادر"، هو اقتداء بسيرة الرسول ﷺ، والحياة الصوفية الروحانية للأمير جمعت بين العديد من خاصيات الرجل، بل إن ميزة التصوف عند "الأمير" هي أنه استعملها أحسن استعمال في نشر الدعوة الإسلامية، والجهاد ضد المستعمر الفرنسي، مستعملا اجتهاده العلمي، ومعرفته اللغوية، فالأمير طبق أفكاره الصوفية في "الجزائر" عن طريق مقاومته للاستعمار، وبناء الدولة الحديثة، بقدرته العقلية، وكذا الروحية، وكذلك السلوك السامي، والممارسة في الواقع.

ضف إلى ذلك أن "الأمير" رسخ للمنهج الصوفي المبني على العلم، والمتفتح على كل الثقافات رغم أن لكل طريقة منهجها المميز لكن المنطلق واحد، وما قدمه "الأمير"

لصوفية هو أنه جمع بينها، وبين ممارسته للسلطة، وبذلك ساهم في إخراج "الطريقة القادرية" من حيز التداول في "الجزائر" إلى الاحتكاك بالثقافات الأخرى، وجعلها محور العديد من النقاشات عبر العالم؛ إذ يعطي الأمير معاني أخرى لمفهوم التجديد الديني فيقول مثلاً: « وأهل طريقنا "رضي الله عنهم" ما ادعوا الإتيان بشيء في الدين الجديد، وإنما ادعوا الفهم الجديد في الدين التليد »³⁴، فالتجديد في نظر "الأمير" دعوة إلى وعي جوهر الدين، وأصوله، وفهم قواعده.

أما إذا تكلمنا عن مسألة "الإمامة" عند "الأمير" من المنطلق الصوفي، نجد أنه يتخذ من كلمات القرآن الكريم مجالاً للتعبير عن أفكاره، وخواطره، وأخذ من الإشارة آية لتفسير القرآن فجعل منها معبراً للوصول إلى المعنى الخفي، « فما ورد من تفسير الأمير أغلبه من باب الإشارة، والرمز، والتفسير الإشاري للقرآن، أو الصوفي لا ينكر صاحبها التفسير الظاهر، ويقر كل تفسير صحيح لا يهدم ركناً من أركان الشريعة، ولا يخل بالمعنى الظاهر »³⁵، فالأمير "عبد القادر" يأخذ الإمامة بمعناها الشامل من تولية، وتصرف، وتقديم دون أن يحدد شخص الإمام، أو الأشخاص المأمومين .

يقول "الأمير عبد القادر" في قوله تعالى: ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً ﴾ [الأحزاب: 72]، « الأمانة هي الخلافة كما قال تعالى: ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ [البقرة: 30]، وعرضها على السموات، والأرض، والجبال، ليس لحملها بالفعل، بل لأنها لا استعداد لها لحمل الأمانة، والحمل بغير استعداد محال، ويتعالى الله العليم الحكيم عن ذلك، ولكن ليظهر فضل الإنسان، وشرفه حيث أبت السموات، والأرض، والجبال من حملها، وأشفقن منها، مع كونها أكبر من خلق الناس لعلمها أن حاملها لا بد أن يوصف بالأضداد، ويظهر بها؛ فخافت من قبول هذا الأمر، واختارت السلامة »³⁶، ويمهد "الأمير" بقوله هذا عن فضل الإنسان، وشرفه إلى قوله "ﷺ": (كلكم راع ومسؤول عن رعيته)³⁷، فعمت الإمامة جميع الخلق، وحصل كل شخص منهم مرتبة من الإمامة.

فالإمامة من منظور "الأمير عبد القادر" تشبه الخلافة³⁸: « وحملها الإنسان الكامل بالفعل، لا مطلق المسمى إنساناً؛ فالإنسان منه الكامل، ومنه الإنسان الحيوان،

إنه كان ظلوماً، أي: كثير الظلم لنفسه، وهذا مدح لأنه من المصطفين المختارين، جهولاً أي: كثير الجهل بنفسه، وبربه لمعرفته، بالأسماء الإلهية التي تتوارد عليه، وتتعاقب على الدوام، وجهلة بربه لكثرة التجليات الإلهية؛ إذ لا يتكرر تجل أبد الأبدین، ولا يشبه تجل تجلياً أبداً وهذا الجهل بمعنى الحيرة الذي سأل الرسول ﷺ "الزيادة منه فقال ﷺ" (اللهم زدني فيك تحيراً)³⁹، وتلك الحيرة المعرفة لا حيرة العوام المحجوبين «⁴⁰»، إن المتمعن في هذا القول "للأمير عبد القادر" يجد فيه تركيزه على الرمز، والإشارة، وتجاوز ظاهر اللغة في التعبير، شأنه في ذلك شأن المتصوفة عامة، فالتجربة الصوفية الجمالية التي يعيها الأمير لا تتعامل مع الحسن الظاهر بصورته الفعلية الحقيقية، ولكن على أنه تجلي خاطري يؤدي إلى معرفة حقيقية.

ومما يعتقد الصوفية عامة أنهم تفردوا بعلم الإشارة، وهو علم المشاهدة، والمكاشفة؛ يقول "أبو بكر الكلاباذي": « وإنما قيل: علم الإشارة لأن مشاهدات القلوب، ومكاشفات الأسرار لا يمكن العبارة عنها على التحقيق، بل تعلم بالمنازلات، والمواجيد، ولا يعرفها إلا من نازل تلك الأحوال، وحل تلك المقامات »⁴¹، ويشير "محمد أركون" إلى أن الخطاب الصوفي في "الجزائر" بالخصوص، يعطي مساحة أوسع للرمزي الأسطوري في الخطاب الديني التأسيسي ثم يطوره، ويستثمره، فالصوفي يبني قراءته على مرجعية، وبذلك تعتبر هذه القراءة خاصة تعتمد فهم الدين تجربة فردية، وامتحان، وارتقاء باتجاه الأقصى إلى غاية التوحد، كما أن "محمد أركون" يشير إلى طبيعية "المزدوجة" « ظاهر، وباطن في تمثل في الإسلام نوعاً من الاستمرارية الخاصة لذلك الصراع القديم عند الفكر اليوناني بين الأسطورة، والعقل المنطقي - المركزي - أي: الصراع بين "أفلاطون"، و"أرسطو"، كما أن هذه المزدوجة ذات منشأ لغوي، لأنه لكل نص معنى حرفي ظاهري، وآخر مجازي باطني، أو حسب العالم الأمريكي "نعوم تشومسكي" "*A . N.Chomsky*" "بنية سطحية، وبنية عميقة" «⁴²»، فالظاهر من كلام "الأمير عبد القادر" أن الخلافة ترادف الإمامة، والإمام هو ذاته الخليفة بتعبير آخر، وهذا رأي أهل السنة عامة⁴³، أما إذا تكلمنا عن الخطاب الثاني الذي يعيش في الخطاب الذي ذكره "الأمير" في الإمامة، لوجدنا أن الإمامة من منظور "الأمير" كيان قائم بذاته، وهو اقتداء بالنبوة، ولها مفرداتها الخاصة، وتعابيرها الاصطلاحية.

إن النظر إلى لغة "الأمير"، ونسق تأليفها يمكن أن يكشف لنا حقيقة القصدية التي يريدها من وراء الإمامة، التي يعتبرها اقتداء بالنبوة، ومما يدل على ذلك استهلال ذكر "الأمير" قوله تعالى: ﴿وَإِذ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30]، يشير "محمد أركون" إلى أن هناك «نصوصاً أخرى تعيش داخل الخطاب الإسلامي، كما ينتبه إلى التناسبات، ومواقع التلاقي، والتقاطع بين القرآن، والكتب السماوية السابقة»⁴⁴، لذلك فإنه ضمن النظام الكلي للإسلام «يختفي خطاب صامت، يعيش حالة اللامفكر فيه، ويتنفض في الممارسات الدينية التي تنقل الدين من تجريدته إلى الفعل الواقعي»⁴⁵، فاستشهاد "الأمير" بالآية السالفة الذكر يستحضر قوله تعالى: ﴿وَإِذ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 124]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: 14].

ومما نستحضره في هذا المقام قول "الأمير" في تفسيره للآية الكريمة قوله في موضع آخر مفسراً قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21].

يقول "الأمير": «هذه الآية تلقيها تلقياً غيبياً روحياً، ومعناها، أي: بالنظر إلى معاملة الحق تعالى لرسوله ﷺ فإنه أعطاه، ومنعه، وضره، ونفعه، وسلط الأعداء، وجعل الحرب دولا، تارة له، وتارة عليه، وقبضه، وبسطه، وأجاب دعاءه، ورد له أخرى، وقال له: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: 55]، و ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: 128]، و ﴿أَفَمَن حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تَنْقُذُ مَن فِي النَّارِ﴾ [الزمر: 19]، وهو ﷺ "أسوة حسنة بالنظر إلى معاملته لربه من تحقيق العبودية، والفقر إليه، والاستسلام لفرقه، والرضى بقضائه، والشكر على نعمائه، والصبر على بلائه، وهو ﷺ "أسوة حسنة بالنظر إلى معاملة الخلق له بين مصدق، ومكذب، ومحب، ومبغض، آذوه بالقول، والفعل، وباشروه بكل مكروه، وتحزبت عليه الأحزاب، وهو ﷺ "أسوة حسنة بالنظر إلى معاملته للخلق، من محبته لهم، وإرادة الخير لهم، والصبر عليهم، ورؤية وجه الحق فيهم، ظلموه، وحرموه فأعطى، وجهلوا عليه فاحتمل، وقطعوه فوصل، فيجب على المرید

العارف أن يجعل هذه الآية قبلته في كل زمان، ومكان»⁴⁶، فيإيمان "الأمير" بالقودة الحسنة هو إيمان بمبدأ الإمامة التي تجسدت في رسول الله ﷺ، فهذا إيمان صادر عن تأمل، وبحث، وصادر عن وعي، واقتناع لا عن جهل، وتقليد، فإن كان رسول الله ﷺ هو مصدر الهداية فإنه أيضا سبب النجاة في الدار الآخرة.

"فالأمير عبد القادر" من خلال هذا التفسير يبحث عن باطن الخطاب في الآية القرآنية، ولا يعول كثيرا على المباشرة فيه، يقول برونو إيتيان "*Bruno Etienne*" «إن دراسة "الأمير" كإنسان له حياته الخاصة التي يجب أن تفهم وفق مقولات المبدأ الذي وطده الإسلام الصوفي، وساهم "عبد القادر" نفسه في تطويره، وهو مبدأ الباطنية، ويمكن الكشف عن وجود هذين المظهرين في شخصية "عبد القادر" عبر النتائج الشعري، والنتاج الديني للأمير»⁴⁷، ذلك أن المباشرة في الخطاب الصوفي، وفي تفسير الأمير للآية السابقة الذكر لا تؤدي إلى معرفة حقيقية، ولا إلى وعي خطابي يرضى حاسة "الأمير" بدليل طريقة تلقي الأمير لهذه الآية – التلقي الغيبي الروحي -، فهو بذلك يقوى دعائم الخيال، ويفسح المجال للألفاظ، والعبارات أن تأخذ معان أخرى يستقبلها المتلقي بالتفسير تارة، والتأويل تارة أخرى.

"فالأمير عبد القادر" «إنما يعيد إنتاج المقروء بمعنى من المعاني، وعلى صورة من الصور»⁴⁸؛ فالخطاب القرآني من وجهة نظر الأمير لا يحمل دلالة جاهزة، أو مفهوم، أو معاني نهائية؛ بل هو خطاب متصل بالقارئ لا ينفصل عليه، ولا يتحقق المعنى المراد إلى بمساهمة المتلقي مما يفتح فضاء دلاليا واسعا، وإمكانية للتأويل.

ومن ظواهر تأثر الدرس اللغوي بالعقيدة، تلك التحليلات التي يقدمها "الأمير عبد القادر" في تحديد المعاني الظاهرة، والباطنة للكلمات، ويتضح هذا المعنى في استعمال "الأمير" لمصطلح "القطب" بمعنى "الإمام"، فالقطب عند الصوفية قد يعني "الإنسان الكامل"، أو "الحقيقة المحمدية"، والإنسان الكامل هو "القطب الحسي" كما أن "الحقيقة المحمدية" هي "القطب المعنوي"، وقد جاء في المحكم: «وَقُطِبَ الْقَوْمَ سِيدَهُمْ»⁴⁹، ويقول "الزبيدي": «والقطب: بمعنى "سيد القوم، حسا ومعنى»⁵⁰، ولمصطلح "القطب" نفس الدلالة التي يحملها مصطلح "الإمام"، «بل ينطبقان على نفس الشخص، وقد ينسب إلى "القطب" ظهور كرامات على يديه تناسب المقام الذي بلغه»

"⁵¹، فالاعتقاد "الأمير" في ثنائية الظاهر والباطن، أدى إلى توسيع المجال الدلالي للرموز اللغوية التي يستخدمها في التعبير عن خبراته الشخصية مع الحقيقة الإلهية، وفي الإعراب عن المفاهيم الباطنة المستنبطة من الخطاب الشرعي فيما عرف بالإشارات الصوفية، وهي إشارات تكتنفها مشكلات دلالية منها الانتقال الدلالي للألفاظ دون مشاركة المخاطبين، أو بالأحرى المجتمع اللغوي، في خلفية الموقف، أو معرفته به. ومن جماليات توظيف الأمير لهذه المعاني ما كتبه لشيخه، وإمامه "سيدي محمد الفاسي" في رائيته المشهورة "⁵²" التي بلغ عدد أبياتها مائة وأحد عشر بيتا، وذكر "محمد بن الأمير عبد القادر" أن إلهام هذه القصيدة جاءه في "مكة" وهو في غار حراء، يقول "الأمير" في الرائية "⁵³:"

وأعني به: شيخ الأنام، وشيخ من له عمة، ذي عذبة، وله الصدر
عيادي، ملاذي، عمدتي، ثم عدتي وكهفي؛ إذا أبدى نواجذ الدهر
غياثي من أيدي العداة، ومنقذي منيري، مجيري، عندما غمني الغمر
ومحي رفاتي؛ بعد أن كنت رمة وأكسبني عمرا، لعمري هو العمر.

تحدث "الأمير عبد القادر" في هذه الأبيات عن إمامه "سيدي محمد الفاسي"، دون ذكر اسمه صراحة في هذه الأبيات وقصده بقوله: "وأعني به: شيخ الأنام"، وذكر في المقابل حالته الشعورية تجاه إمامه كقوله: "شيخ الأنام، عيادي، ملاذي، عمدتي، عدتي، وكهفي غياثي، منيري، مجيري، منقذي، محي رفاتي"، "فالأمير" بتعبيراته هذه يحقق معنى الإمامة الصوفية التي ذكرها "ابن عربي" بقوله: «إن العبد هو عبد لذاته، ولكن لا تعقل له عبودية ما لم يعقل له استناد إلى سيد، والرب رب لذاته، ولكن لا تعقل له ربوبية ما لم يعقل له مربوب هو مستنده فكل واحد سند للآخر فالمعلوم أعطى العلم للعالم فصيره عالما، والعلم صير المعلوم معلوما» "⁵⁴"، فقدره "الأمير عبد القادر" في توظيفه للغة وقواعدها أتاحت له «ألوانا كثيرة من التصرف، وحينئذ فإن مكن قوته لا يكون في أن يجترح لنفسه قواعد جديدة، وإنما في أن يكرس هذه الإمكانيات لبناء ما يريد على نحو جديد، أو يشبه الجديد وفي هذا أيضا يكمن الفارق بين المبدع، وبين غير المبدع» "⁵⁵"، هذه الإبداعية في التوظيفات اللغوية تظهر عند الأمير في ذات القصيدة؛ بل وفي البيت الموالي مباشرة الذي يقول فيه "⁵⁶:"

مُحمَّد الفاسي له من مُحمَّد
صفي إله الحال والشيم الغر
بفرض وتعصيب غدا إرثه له
هو البدر بين الأوليا وهم الزهر
شماله تغنيك إن مت شاهدا
هي الروض لكن شق أكمامه القطر

استعمل "الأمير عبد القادر" عبقريته التعبيرية، والأسلوبية في توظيفه ثنائية الذكر، والحذف بوصفهما شكلا من أشكال التعبير يتكنف من خلاله المضمون الدلالي فصاحة، وإفادة، وبيانا؛ إذ حذف اسم إمامه في الأبيات الأولى، وذكر اسمه صراحة فيما تلى من الأبيات، والملاحظ من هذا البناء اللغوي "للأمير عبد القادر" أنه أشار إلى ما تحدثنا به سابقا حول تفسير الأمير لقوله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾ [الأحزاب: 21]، فذكره لإمامه "محمد الفاسي" صراحة في الأبيات كان مقرونا بالنبي ﷺ "كونه الأسوة، والقُدوة الحسنة لكل مسلم، فالنبي ﷺ" بتعبير الأمير إمام لكل البشر.

لقد اشتغل "الأمير عبد القادر" على الجملة، بوصفها تركيبا لفظيا يجري به النطق في سلسلة كلامية تتتابع ألفاظها لتفضي إلى معنى يحسن السكوت عليه تارة، ويذكر فيه تارة أخرى، انطلاقا من تصوره للعملية الإسنادية القائمة أساسا على المسند والمسند إليه، هذه العملية الإسنادية تبين أن طبيعة خطاب "الأمير عبد القادر" قائمة في ذهنه، وماثلة في لفظه سواء كان ذلك تحقيقا، أو تقديرا، فتوظيف الأمير لثنائية الذكر، والحذف جعلت خطابه يتصف بتمام المعنى، وإيفاء القصد.

إن "الأمير عبد القادر" يعتقد بقدسية إمامه "سيدي أحمد الفاسي"، وانطلاقا من هذا المنطق العقدي، يرى "الأمير" أن حياته حياة حيرة يسودها التوتر، وعند لقاء إمامه ينقذه من تلك الحيرة، والضلال فأضحي خطاب "الأمير" موجبا لخلفيته الدينية الصوفية، لأن الإيمان بالإمام ينال به الأجر، ويحط بها الوزر، فما يفهم من الخطاب أنه صادر عن شعور صادق لا يحس معه بأي حرج، ولا يخشى الاتهام بالتملق فبناءه اللغوي منبثق عن اعتقاد راسخ بحقيقة الإمامة، وضرورة إتباع الرسول الكريم ﷺ.

04 - خاتمة:

يركز الخطاب الصوفي في "الجزائر" وبخاصة عند "الأمير عبد القادر" بأن الإمامة الصوفية لطف، وامتداد للنبوة والرسالة، وأن الأولياء يخلفون الأنبياء، ويقومون

بوظائفهم، وهم حجج الله تعالى على جميع خلقه، ولا يخلو منهم عصر، وزمن، يهدون الناس ويقودونهم لما فيه خيرهم، وصلاتهم، وبينون حكم الله في النوازل وغيرها، بما خصهم الله تعالى من إطلاع، ومعرفة بالغيب، والإلهام، وبما خصهم به من علوم، ومعارف. ومما نخلص إليه أن مصطلح الولاية، وما يترتب عليه يعتبر محورا مهما في الفكر الإسلامي، وفي ثقافة الأمة الإسلامية، وتكراره في مجالات عديدة، ومتنوعة يؤكد محوريته ونصوصيته، وأهميته، والغريب في الأمر أن مصطلح "الخلافة" ورد 04 مرات في القرآن الكريم، ومصطلح "الإمامة" 12 مرة، ومصطلح "الولاية" فقد ورد بحدود 90، مما يؤكد موقع هذا مفهوم الولاية، والإمامة في الثقافة القرآنية.

ومهما قيل فإن المتلقي لا يسعه فك خيوط، وشفرات هذا الخطاب إلا إذا كان على قدر واسع من الثقافة الصوفية، والفلسفية، فلو فرضنا أن المتلقي مستوعب للثقافة اللازمة لقراءة مثل هذا الخطاب فإن فهمه، وتفسيره، وتلقيه له يبقى مجرد قراءة مفتوحة على ما لا حصر له من الدلالات، وهذا ما يؤهل مثل هذا الخطاب "للأمير عبد القادر" للاستجابة لمناهج القراءة الحديثة كالتسمائية، والتفكيكية، وغيرها من المناهج المعاصرة.

وفي الأخير لا يمكننا اعتبار خطاب "الأمير عبد القادر" خطابا لغويا، أو أدبيا له جماليات معينة فحسب؛ بل هو خطاب واع لا يتحقق وجوده إلا حين يتم القيام بتجليته عبر ممارسة القراءة، والفهم اللذين يجعلان من مثل هذه الخطابات خطابا حاضرا له حضوره الواعي.

ويبقى المشروع الذي يلزم المتلقي تبنيه اليوم تجاه الخطاب الديني هو مشروع قراءة جديدة تعتمد على آليات التأويل، والقراءة الصحيحة، من منظور يجعل من الخطاب الديني عامة مكونا من مكونات الوعي العربي المعاصر.

05 - هوامش:

- 1 - ابن خلدون، شفاء السائل لهذيب المسائل، تح محمد مطيع الحافظ، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ودار الفكر، دمشق، الجمهورية السورية، ط 01، 1417 هج، 1996 م، ص: 87 - 89.
- 2 - القشيري، الرسالة القشيرية، دار الكتب الحديثة، القاهرة، مصر، ج 2، ص: 550 - 557.
- 3 - السهروردي، عوارف المعارف، مكتبة القاهرة، القاهرة، مصر، ص: 54 - 59.

أدبيات الخطاب الصوفي في الجزائر، قراءة في فكر الأمير عبد القادر.

- 4 - أبو نصر الطوسي، اللمع، تح عبد الحلیم محمود، دار الكتب الحديثة، القاهرة، مصر، 1380 هج، 1960 م، ص: 45.
- 5 - عبد الحلیم محمود، أبحاث في التصوف، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط 02، 1985 م، ص: 157، 159.
- 6 - محمد بن علي المكي، قوت القلوب، دار صادر، بيروت، لبنان، 1306 هج، ج 2، ص: 167.
- 7 - حمدان خوجة، المرأة، ترجمة محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، الجزائر، 2004 م، ص: 23.
- 8 - عبد القادر عطا، التصوف الإسلامي بين الأصالة والافتباس، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 01، 1407 هج، 1987 م، ص: 180، 183.
- 9 - ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمان بن قاسم وابنه محمد، الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، الرياض، المملكة العربية السعودية، ج 11، 195.
- 10 - رينولد نيكلسون، الصوفية في الإسلام، ترجمة نور الدين شريفة، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 01، 1371 هج، 1951 م، ج 2، ص: 73.
- 11 - كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 05، 1968 م، ج 2، ص: 83.
- 12 - رينولد نيكلسون، الصوفية في الإسلام، ج 2، ص: 29.
- 13 - أجناس جولد تسمير، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرون، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ودار الكتاب المصري، القاهرة، مصر، ط 01، 1946 م، ص: 148.
- 14 - القشيري، الرسالة القشيرية، ج 2، ص: 556.
- 15 - الأصفهاني، حلية الأولياء، دار الفكر المعاصر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ج 1، ص: 20.
- 16 - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، تح سهيل زكار، وخلييل شحاتة، مط، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1421 هج، 2001 م، ج 1 "المقدمة"، ص: 611.
- 17 - الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح، محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص: 24.
- 18 - الأزهرى، تهذيب اللغة، الدار المصرية للطباعة والترجمة، ودار الكتاب العربي، القاهرة، مصر، 1967 م، ج 15، ص: 638، مادة "أم"، ابن منظور، لسان العرب، ج 3، ص: 133، مادة "أمم".
- 19 - ابن فارس، معجم اللغة، تح زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 02، 1406 هج، 1986 م، ج 1، ص: 82.
- 20 - ابن منظور، لسان العرب، ابن منظور، لسان العرب، تح، عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، ج 3، ص: 133، مادة "أمم".
- 21 - الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 02، 1407 هج، 1987 م، ج 4، ص: 78، مادة "أم".

- 22 - الزبيدي، تاج العروس، تج، محمود أحمد الطناحي وآخرون، مراجعة عبد السلام محمد هارون، التراث العربي، الكويت، 1413 هج، 1993 م، ج 31، ص: 244 - 245، مادة "أمم".
- 23 - الماوردي، الأحكام السلطانية، تج أحمد البغدادي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، مصر، ط 03، 1393 هج، ص: 05.
- 24 - الجويني، غياث الأمم، تج مصطفى الحيني وفؤاد عبد المنعم، دار الدعوة، الإسكندرية، مصر، ط 01، 1400 هج، ص: 15.
- 25 - عضد الدين الإيجي، المواقف، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ص: 395.
- 26 - الهيتي، الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، مكتبة القاهرة، القاهرة، مصر، 1385 هج، ص: 07.
- 27 - زكي مبارك، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ج 2، ص: 21.
- 28 - فآلظاف الولي، والقبه، والديوان، والحضره، ومول الزمان، وسيدي الوالي، وسيدي مول الساعه، وسيدي مول السر، وسيدي مول الحال، والفناويه، وغيرها هي بعض من الكلمات، والألفاظ العامية المتداوله بكثرة وسط المجتمع الجزائري.
- 29 - وبالخصوص "الزاويه القادرية" يقول محمد أركون: "ونضال "عبد القادر" ضد الفرنسيين في "الجزائر" يوضح لنا بالضبط لعبة ثلاث قوى متنافسه، ذلك أنه ما بين الأهداف التسلطية للإمبراطورية التركية "الإسلامية"، والأهداف التوسعية للإمبريالية الاستعمارية "المسيحية"، فإن أمير المؤمنين - أي الأمير عبد القادر - كان يحاول تأسيس سلطة ثلاثم واقع الغرب الجزائري، وذلك باعتماده على الجمعية الدينية القادرية". محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ترجمة هشام صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، والمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط 02، 1996 م، ص: 180.
- 30 - علي أحمد إسماعيل، دراسات إسلامية بين الشريعة والحقيقة والرمز، دار إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 02، 2012 م، ص: 29.
- 31 - إن المطلع على نسب "الأمير عبد القادر" يجده ينتهي إلى "الحسن بن علي"، و"فاطمة الزاهراء" بنت الرسول الكريم ﷺ "فهو: "هو عبد القادر بن محي الدين بن المصطفى بن محمد بن المختار بن عبد القادر بن محمد بن عبد القوي بن علي بن أحمد بن عبد القوي بن خالد بن يوسف بن أحمد بن بشار بن محمد بن مسعود بن طاووس بن يعقوب بن عبد القوي بن أحمد بن محمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى ابن الإمام الحسن السبط بن علي بن أبي طالب". نزار أباطة، الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ودار الفكر المعاصر، دمشق، الجمهورية السورية، ط 01، 1414 هج، 1994 م، ص: 09. وعبد الرزاق البيطار، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، البينة للطباعة والنشر، ج 2، ص: 884. وقد نظم هذا النسب الشريف السيد "محمود أفندي الحمزاوي" مفتي "دمشق" مطلعها:
- يا حبذا الوعد والإنجاز يصحبه حاشا علاكم بأن الخلف يعقبه.

- محمد باشا بن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، المطبعة التجارية، الإسكندرية، مصر، ج 2، ص: 38 – 39.
- 32 - أحمد زروق الفاسي، قواعد التصوف، تح عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 02، 2007 م، ص: 60.
- 33 - الأمير عبد القادر الجزائري، المواقف في الوعظ والإرشاد، تصحيح ومراجعة لجنة من علماء دمشق، دار اليقظة العربية، دمشق، الجمهورية السورية ط 02، 1966 م، المجلد 01، ص: 141.
- 34 - الأمير عبد القادر، المواقف في الوعظ والإرشاد، المجلد 01، ص: 26.
- 35 - أحمد كمال الجزائر، المفاهر في معارف الأمير الجزائري عبد القادر والسادة الأولياء الأكابر، مراجعة محمد زكي إبراهيم، ط 01، 1417 هج، 1997 م، ص: 62.
- 36 - الأمير عبد القادر، المواقف، ج 01، ص: 117.
- 37 - البخاري، الجامع الصحيح، تح محب الدين الخطيب وآخرون، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر، ط 01، 1400 هج. ج 2، ص: 178، ح 2409، ومسلم، صحيح مسلم، مسلم، صحيح مسلم، تح نظر محمد الفريابي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 01، 1427 هج، 2006 م، ج 2، ص: 886 – 887، ح 1829.
- 38 - يقول ابن عربي: "إن معنى الإنسانية هو الخلافة عن الله، وإن الخلافة عن الله مرتبة تشمل: الولاية، والنبوة، والرسالة، والإمامة، والأمر، والملك، فالكمال الإنساني بكمال هذه المراتب، وهو مركز في الإنسان بالقوة منذ آدم إلى آخر مولود." ابن عربي، بلغة الغواص في الاكوان إلى معدن الإخلاص في معرفة الإنسان، دار المعارف، القاهرة، مصر، ص: 54.
- 39 - ذكر هذا الحديث عبد الغني بن إسماعيل النابلسي في كتاب الوجود، ص: 198 نقلا عن ابن عربي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003 م.
- 40 - الأمير عبد القادر، المواقف، ج 01، ص: 117.
- 41 - الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، المكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر، ط 02، 1400 هج، 1970 م، ص: 104 – 105، يقول ابن عربي: "اعلم أن رجال الله على أربعة مراتب: رجال لهم الظاهر، ورجال لهم الباطن، ورجال لهم الحد، ورجال لهم المطلع، فإن الله لما أغلق دون الخلق باب النبوة، والرسالة، أبقى لهم باب الفهم عن الله فيما أوحى به إلى نبيه ﷺ" في كتابه العزيز. ابن عربي، الفتوحات المكية، دار صادر، بيروت، لبنان، ج 3، ص: 187.
- 42 - محمد أركون، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ترجمة هاشم صالح، دار الساقى، بيروت، لبنان، ط 02، 1992 م، ص: 241.
- 43 - سعاد الحكيم، المعجم الصوفي "الحكمة في حدود الكلمة"، دندرة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 01، 1401 هج، 1981 م، ص: 102.
- 44 - محمد أركون، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ص: 269.
- 45 - نفسه، الصفحة نفسها.

- 46 - الأمير عبد القادر، المواقف، ج 01، ص: 10.
- 47 - برونو إيتيان، الأمير عبد القادر الجزائري، ترجمة ميشيل خوري، دار عطية للنشر، بيروت، لبنان، ط 01، 1997 م، ص: 15.
- 48 - علي حرب، نقد الحقيقة، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1993 م، ص: 05.
- 49 - ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، تح، عبد الحميد هندواوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 1421 هج، 2000 م، ج 6، ص: 290، مادة "قطب".
- 50 - الزبيدي تاج العروس، ج 4، ص: 57، مادة "قطب".
- 51 - صفوت حامد مبارك، الموسوعة الإسلامية العامة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، مصر، ص: 1154، مادة "قطب".
- 52 - القصيدة في الديوان باسم "أستاذي الصوفي" من البحر الطويل، الأمير عبد القادر، الديوان، تح العربي دحو، منشورات ثالثة، ط 03، 2007 م، ص: 102، ومحمد باشا، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر، ج 2، ص: 137 - 141.
- 53 - الأمير عبد القادر، الديوان، ص: 103، وتحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر، ج 2، ص: 137، 138.
- 54 - ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 4، ص: 102. ويقول برونو إيتيان: "يعد الأمير عبد القادر أحد أكبر متصوفة الإسلام بعد معلمه ابن عربي." برونو إيتيان، الأمير عبد القادر الجزائري، ص: 18.
- 55 - محمد عبد الله جبر، الأسلوب والنحو، دار الدعوة، الإسكندرية، مصر، ط 01، 1988 م، ص: 19.
- 56 - الأمير عبد القادر، الديوان، ص: 103، وتحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر، ج 2، ص: 138.